الخطاب السياسي

الخطاب لغة :

من مادة "خطب"، يقال: خاطب خِطابًا، فهو مصدر زنة: فَاعَلَ فِعالاً بخلاف الخطبة، فالأصل: خَطَبَ: خُطْبَةً، وهي المصدر والمرة من خَطَبَ زنة فَعَل فُعْلَة؛ يقال: خطب الناس وخَطَبَ فيهم وعليهم خَطَابة وخُطْبة: ألقى عليهم خُطْبة، وهى ما يلقيه الخطيب على جمهور، ويكون الإرسال فيها من طرف المرسل (الخطيب) فقط.

ويقال: خاطبة خِطابًا ومُخَاطبة: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلامًا أو خاطبه في الأمر: حدَّثه بشأنه[1]، فالخطاب كلام موجه فيه مشاركة، فبناء "فاعل" يدل على المشاركة بين طرفي الخطاب، ودليل ذلك قوله تعالى:﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[النبأ:٣٧]. أي لا يملكون خطابه وهم أهل السماوات والأرض. ومن ذلك قوله تعالى على لسان أحد الأخوين المتخاصمين لداود عليه السلام: ﴿إِنَّ هَـذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[ص:٢٣]. أي غلبني في الحديث في بسط حجته عليّ. وقال الراغب: "الخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام"[2]، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا، وهما يتخاطبان، والخطاب: المواجهة بالكلام أو مراجعة الكلام[3]، فالخطاب يقتضي حواراً ومشاركة، ولا خطاب إلا باعتبار تضمين معنى المكالمة، وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام، أو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه[4].

---

(١) ارجع إلى: لسان العرب: مادة: خطب. وإلى كتابنا: لغة الخطاب السياسي، دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال. مكتبة النهضة المصرية ط١/٢٠٠٢م، ١٤٢٣هـ ص١٦ وصدر عن دار النشر للجامعات سنة ٢٠٠٤م.

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، مكتبة الأنجلو المصرية. ص٢١٦، مادة خطب.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٣/١٩٨٥م مادة خطب جـ١/٢٣٨. والعين للخليل بن أحمد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م جـ٤/٢٢٢ مادة خطب. وارجع إلى: لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص١٦.

(٤) الكليات، معجم المصطلحات، الكفوي، ط مؤسسة الرسالة جـ٢/١٤١٣هـ ١٩٩٣م ص١٩٩٣ (خطب).

الخطاب اصطلاحاً :

كلام موجه إلى متلق بقصد الإقناع والتأثير، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حواراً أو مشافهة أو كتابة للتأثير والإقناع وتحقيق مقاصد اتصالية. ويقابله في الاصطلاح الغربي: **Discours** ويعني: حديث، وخطاب موجه، ومحاضرة، ومقالة، ورسالة[1]، ويدخل فيه: الحجاج والمحاورة والمناظرة، وكل أشكال التفاعل اللغوى فى التواصل الاجتماعى سواء أكان منطوقاً أو مكتوباً. وحمل معنى الخطاب على بنية النص وتراكيبه، وبعض العلماء يريد به النص كله وبعضهم يحيزه فى جملة موجهة وبعضهم يراه فى شكل لغوى موجه.

والخطاب عند الغربيين: كلام موجه يتكون من مجموعة متشابكة من الجمل يتواصل به طرفان من أجل تحقيق مقصديهما من التواصل، أو وحدة متصلة متماسكة تشكل رسالة ذات بداية ونهاية[2].

أو كل خطاب يتواصل به المجتمع، ويتفاعلون به. وهي مفاهيم تؤكد أن الخطاب يقع في وسط اجتماعي يتواصل، وهذا الخطاب مؤلف من مادة لغوية، وأضافت الدراسات الحديثة الحركات والإشارات والرموز إلى الخطاب الشفاهي (المنطوق)، وبعض الدراسات اهتمت باللغة فقط وبعضها اهتمت بالمقاصد الاتصالية، وبعضها اهتم بالمجتمع الذي يتواصل باللغة، وبعضهم استدرك على اللغة التواصلية العناصر غير اللغوية: الحركات والإشارات، والرموز، والزيّ، والهيئة، وغير ذلك من الأشياء التي تدل على معنى في العالم الخارجي، وهذه العناصر مجتمعة جزء من التواصل الاجتماعي، بيد أن اللغة لها أكبر نصيب في التواصل الاجتماعي، وهي الأصل في النص المكتوب الذي يقوم على بنية لفظية دون العناصر التي تشارك من خارجها، ولكن المفسر للخطاب المكتوب لا يستطيع الاعتماد على البنية النصية وحدها دون أن يستعين بظروف إنتاجها، والعالم الخارجي والعناصر غير اللغوية التي ارتبط بها النص.

---

(١) ارجع إلى كتابنا: لغة الخطاب السياسي ص١٧ – ٢٠ وقد تناولت فيه آراء العلماء في معنى الخطاب اللغوي والاصطلاحي.

(٢) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير) سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط٢/١٩٩٣. ص١٧، ١٨. ولغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة، ص١٦ وما بعدها.

وقد تأثرت الدراسات العربية بالدراسات الغربية، وظهرت دراسات عربية صدى لهذه الثقافة الوافدة، وتنوعت الاتجاهات تأثرًا بالمذاهب الغربية ومدارسها في بحث اللغة، وعلاقتها بالعلوم الإنسانية الأخرى. ويرجع تاريخ بحث مفهوم الخطاب – بمفهومه العام: الأدبي واللغوي إلى علم الألسنية "Linguistique" الذي ظهر في العصر الحديث، وهو العلم الذي يهتم بدراسة اللغة ويعتبرها انعكاسًا للواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي.وقد امتد نشاط اللسانيين[1] في البحث اللغوي، فتعدوا إطار اللغة إلى دراسة الظاهرة الكلامية أو الاتصالية عامة، فوسعوا مجال الدراسة إلى دراسة الخطاب المنطوق والمكتوب. وأصبح الخطاب بالمعنى الألسني الواسع، يعني كل إنتاج ذهني منطوق أو مكتوب، يقوله فرد أو جماعة رسمية اعتبارية (كالمؤسسات المختلفة التي تنتج الخطاب السياسي، والقانوني، والأدبي ...) وقد يأتي هذا الخطاب في شكل محادثة عادية مشافهة أو حوار رسمي أو مقال مكتوب أو رسالة أو خطبة أو وثيقة أو برقية أو تصريح أو تعليق، وغير ذلك من الأحاديث الموجهة في التواصل الجمعي أو الزوجي (بين اثنين).

ونشأة الخطاب متعلقة بالخطابة التي تعد فن القول الأول في فنون الخطاب: (الخطابة، الحوار، الجدال، المناقشة، الحكى، الحديث)، واليونانيون هم أوائل الذين بحثوا فن الخطابة، وأوائل من وضعوا قواعد أساسية في التواصل اللغوي، ويعد العالم اليوناني "كوراكس Corax" أول من اهتم بوضع قواعد خطابية، وتابعه في ذلك تلميذه "تسياس Tisias"، وذلك من خلال أسلوب المرافعة في المحاكم، فوضعت الملامح العامة للإقناع، فأصبح أسلوب الإقناع فنًا، وظهر في علم مستقل يعرف بعلم البلاغة، وهو العلم الذي يضع القواعد العامة للغة العليا التي تحقق أكبر قدر من التأثير والإقناع، ولهذا العلم اتصال مباشر بنظرية الاتصال، فالاتصال يعتمد على عناصر بلاغية وضعها المشتغلون بهذا العلم، ويعد أفلاطون (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م) وتلميذه أرسطو (٣٨٥ – ٣٢٢ ق.م) مؤسسي الدراسات الأُوَل في فن الاتصال، وقد توصلا إلى أن الاتصال فن أو صناعة يتعلمها الإنسان ويتقنها بالمرانة، وجعلاه

(١) ارجع إلى: بسام بركة: اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، مركز الإنماء القومي، العددان ١٨، ١٩ شباط/آذار ١٩٨٢م ص٦٥ وما بعدها. وارجع إلى: أميمة مصطفى عبود أمين: قضية الهوية في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص٢ ،٣.

علمًا مستقلاً قال أرسطو (في مقدمة افتتاحه علم البلاغة): إن كل الناس – تقريباً – يحاولون استخدام أفضل الوسائل التعبيرية بما توفر لهم من علم أو من خلال التدريب أو مما اكتسبوه من المواقف، ويؤكد هذه الحقيقة أن الذين تمرنوا على الخطابة ينجحون في تواصلهم، وأن الذين يرسلون خطاباً تلقائيًا ينجحون أيضًا؛ لأنهم اكتسبوا معارفهم في إطار التواصل اليومي. وعدت الخطابة موضوع نظرية الاتصال عند القدماء، وتعد أهم فنون القول عند الإغريق وقد لاقت منهم اهتمامًا كبيرًا[1]، فوضعوا لها أسساً تعليمية، وكانوا أكثر النقاد صرامة لتلك التقنيات التي استخدمت في إطار قانوني في المرافعات والمحاورات والقضايا والجدال، وكان لها استخدام سياسي أيضًا في المجالس والاجتماعات، واعتمد عليها السياسيون في المباريات السياسية، والحروب، وكان لها وضع فريد في الفلسفة، فأصحاب هذا الحقل أول من اعتنى بفن القول أو الخطاب، فوضعوا له قواعد تعليمية، وقد ارتبطت علوم أخرى بهذا الحقل النظري وعلى رأسها المنطق. وكان للرومان دور بارز في تطوير فن الخطابة لتلعب دورها كاملاً كتقنية من تقنيات الاتصال، ولقد كانت روما من الناحية العملية "مجتمع الاتصال" بالمفهوم العصري، لوجود فكرة رابطة اجتماعية قائمة على الاتصال المنظم والمؤسس، تجاوزت القرون الوسطى إلى عصر النهضة، وآتت ثمارها في العصر الحديث[2].

لقد نشأت الخطابة في القرن الرابع قبل الميلاد، انعكاسًا للمخاطبة التي تهدف إلى الإقناع وتقنياته. ويؤكد "بارت" في هذا الصدد أن "التفكير في أمور اللغة" بدأ في الدفاع عن المصالح الشخصية، وابتدع "كوراكس" شكل الخطبة، فقسمها إلى أجزاء كبرى تتوالى بصورة طبيعية، وشكلت هذه التقنية في المخاطبة القاعدة لكل عرض واعٍ بالحجج والبراهين. فيجب أن تبدأ الخطبة "بالاستهلال"، وتهدف إلى تهيئة المستمعين وتعريفهم بالحجج التي ستعقب الاستهلال، ثم تنهي "بخاتمة" تمس قلوب الحاضرين وبين هذين الجزءين قيم تعرض الحقائق "سردياً" ثم تناقش في جزء يسمى "التأكيد".

ثم مرت الخطابة بالسوفطائيين الذين يؤكدون على القدرة الهائلة للكلام والحجج مع فلسفة ترى أنه لا توجد حقيقة مطلقة للأشياء، فما نسميه حقيقة ليس إلا آراء نسبية

---

(١) ارجع إلى: الاتصال والسلوك الإنساني، ترجمة نخبة من العلماء، معهد الإدارة العامة، المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ – ١٩٩١م ص٦٦، ٦٧.

(٢) ثورة الاتصال: برتون وبرو، دار المستقبل العربي، بيروت ١٩٩٣م، ص ٢٦ : ٢٩.

تستخدم صورًا بلاغية محفوظة عن ظهر قلب، ويتم استخدامها بشكل آلي في خدمة كافة السلطات، وهم بذلك يهدمون أهم الأسس التي تقوم عليها حقيقة الأشياء.

وقد أدان كل من سقراط وأفلاطون وأرسطو جميع الأشكال التي لا تعتمد في الأساس على البحث عن الحقيقة، وتصدوا للاتجاه السوفسطائي الذي يدعو للشك والجدال فقط دون استهداف اليقين أو الحقيقة. وقد عرف أرسطو الخطابة بعيدًا عن أداة السلطة للإقناع فرأى أنها فن يكتشف كل ما يتناوله من موضوعات تؤلف عناصره، وتبدو الخطابة عنده عملية سلسة للغاية، ترتبط بالظروف، والمهم في الخطيب قدرته على المواجهة في أي وقت وتكيف خطبته حسب السياق.

وقد تعرضت الخطابة لهزة ضربت أركانها متأثرة بالظروف الاجتماعية في أوربا، فقد فقدت الخطابة أهميتها في العصور الوسطى خلال القرنين السابع عشر والثامن، وهو ما يعرف بالعصر البابوي أو عصر الظلام، بيد أنها شهدت في مقابله اهتماماً عظيماً في العالم الإسلامي؛ فعاشت في الثقافة الإسلامية العربية أزهى عصورها.

فقد اهتم بها علماء العربية، وأضافوا إليها إنتاجاً جديداً وطوروها، وبدأ الاهتمام باللسانيات مع بداية القرن التاسع عشر في أوربا، وظهرت مدارس لغوية، وتبنت المدرسة البنيوية **Structuralism** مع بداية القرن العشرين دراسة الخطاب وأشكاله، واهتمت المدرسة بتحليل اللغة، وانتقلت من مستوى الجملة وحدة تحليلية إلى مستوى تحليل الخطاب كله، فيشمل ذلك تحليل نسق المقولة المكتوبة أو المنطوقة وكذلك أدوات الإقناع أو الجدل **Argumentation** التي يحتويها، لقد اعتمدت المدرسة على البنية النصية ولم تعبأ بغيرها. وترى أن تحليل ألفاظ الخطاب، وما ورد فيه، يكشف عن المعنى الكامن في الخطابات الفكرية، ويتم هذا التحليل بعيداً عن المؤلف أو المبدع، ولهذا اهتم "دي سوسير" بتحليل النصوص الأدبية من الداخل أو بنية العمل ذاته، ولم يدخل في التحليل العوامل الخارجية، مثل الذات المتكلمة، والعالم الخارجي. فالذي يعنيه مضمون الخطاب، فجعله موضوع البحث.

لم تهتم البنيوية بغير النص فلم تدرس دور الفرد أو المبدع، أو أثر الجوانب النفسية في الخطاب، وعلاقة النص بالعالم الخارجي، ولكنها لم تتمسك بذلك طويلاً، فقد ظهرت اتجاهات أخرى داخلها ترى أهمية دراسة العناصر الأخرى التي شاركت في إنتاج النص.

وقد أسهمت تيارات أخرى في تحديد مفهوم الخطاب مثل مدرسة "الشكليين الروس" التي أدخلت مفهوم الخطاب إلى الألسنية حيث أدخلت فكرة النسق **Systéme** على القول أو النطق **Enonce**، وأصبح الخطاب بمثابة رسالة **Message** كلية أو قول **Enonce**، وأصبح الخطاب يعني المرسل والمتكلم والرسالة والقناة، والسياق[١].

وتخطت مرحلة مستوى الجملة التي وضعها فيها البنيوية، وأصبح السياق هو الذي يحكم المعنى. وأولت الدراسة الشكلية الروسية اهتمامها بالمبدع أو المرسل على عكس سابقتها – البنيوية – التي نادت بموت المبدع.

وقد تطور هذا المنهج في دراسة الخطاب على يد إميل بنفينست **E. Benveniste**، فقد رأى أن القول أو النطق هو التحويل الفردي للسان إلى خطاب، ويفهم هنا الخطاب بمعناه الواسع أن كل نطق أو قول يفترض مرسلاً **Locuteur** ومستمعًا أو مرسلاً إليه **Auditeur**، ويقصد المرسل التأثير في المرسل إليه بطريق مختلفة، فالمتلقي هدف المرسل المباشر، والإقناع غايته.

وعالج بنفينست النص من خلال المرسل أو المبدع، في إطار مضمون نطقه أو النص المكتوب عن طريق الضمائر والظروف والأفعال، فالمتكلم يعبر عن نفسه من خلال الملفوظات أو المنطوقات **Enoncés** التي يقولها، فاللسان عبارة عن مجموعة من العلامات **Signes** ترتبط مع بعضها بصورة نسقية الهدف منها نقل رسالة المرسل أو فكرته من خلال جمل متسقة نحويًا إلى المجتمع المتلقي[٢]. وقد رأى فان دايك (داجك) أن ضعف الاهتمام بالخطابة أدى إلى ظهور حقول جديدة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، فظهرت نظرية تحليل الخطاب **Discourse Analysis Theory**، وهي نظرية أكثر تطوراً وأشد كلفاً بالنص من نظرية الأسلوبيات **Stylistics**، التي سبقتها وهي نظرية ظهرت حديثاً متأثرة

---

(١) ارجع إلى: النقد الأدبي ب. برونل وآخرين، ترجمة هدى وصفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٠م ص١١١ وقضية الهوية في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض نصوص الخطاب السياسي ص٩، ١٠. وقد عالجت الزميلة الدكتورة أميمة عبود خطاب السلطة في السبعينات.

(٢) ارجع إلى:

Maingueneau, D., Intiationaux Méthodes de l'analyse du discourse, Paris, Hachette Universite, 1976, P. 8 – 12. ،

وارجع إلى قضية الهوية في مصر ص١٥ ولغة الخطاب السياسي ص ١٩.

بمناهج البحث العلمى الحديث ووظفت عناصر لغوية وأدبية وبلاغية فى البحث الأسلوبى، وقد قامت على أنقاضها نظرية تحليل الخطاب. وعزى فان دايك ظهور هذه النظرية إلى عوامل عديدة منها[1] أن الثورة البلشفية في روسيا أفرزت أفكاراً جديدة في حقول الإنثروبولوجيا (Anthropology) والشعر واللسانيات Sociolinguistics School أدت إلى ظهور مدرسة جديدة سميت بالشكلانية الروسية Russian Formalism، وأشهر علمائها فلاديمير بروب الذي كتب "علم تشكل الحكاية" ١٩٢٨م وقد أبرز فيه تأثر العلوم الإنسانية الحديثة ببعضها، وتولد عن هذا التفاعل الأسس الأولية لنظرية تحليل بنية الخطاب.

وتعد الأعمال التي قام بها ليفي شتراوس Levi- Strauss مرحلة متقدمة فيها، وقد تأثر في أعماله بالشكلانية الروسية، ويعد هذا تحولاً آخر في تطور نظرية تحليل الخطاب، وتعد أعماله مصدراً مهماً في إحياء علم الإنثروبولوجيا والشعر وغيرها من العلوم الإنسانية الأخرى. وساهم آخرون في ازدهار هذه النظرية. وشهدت نمواً كبيراً في الستينات من القرن الماضي، وأهم علماء هذه المرحلة بروب وتودروف وميتز وأبرزهم هايمز Hymes، الذي كتب اللغة في الثقافة والمجتمع ١٩٦٤م.

وتطور البحث فظهر تحليل خطاب إثنوجرافيا الكلام Ethonography[2] وقد كان للتعامل المباشر بين اللسانيات البنيوية والإنثروبولوجيا أثر واضح في دراسة استخدامات اللغة وأثرها في الخطاب، وأشكال الاتصال، وقد ظهرت مدرسة حديثة نتيجة هذا التفاعل تعرف بـ"علم اللغة الاجتماعي School Social Linguistic"، وهي مدرسة تفسر اللغة في ضوء المجتمع الذي أفرزها، والثقافة التي تنتمي إليها، والتاريخ.

وتهدف نظرية تحليل الخطاب إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية موضوع الدراسة، والهدف من ذلك مساعدة المتلقي (القارئ، أو المستمع) في معرفة الخطاب وفهمه فهماً يتناسب والسياقات الاجتماعية، ولهذا الوصف الشمولي بعدان هما: النص Text، والسياق Context، والنص يمثل بنية الخطاب، والسياق يدخل فيه البنية والعالم الخارجي

---

(١) ارجع إلى: البحث الذي أعده الدكتور علي بن شويل القرني عن الخطاب الإعلامي العربي، مجلة الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، يناير ١٩٩٧، ص٣٨.

(٢) الإنثوجرافيا: علم دراسة الإنسان أو دراسة الأمم والأقوام.

وظروف إنتاج النص، والمشاركون فيه وزمنه ومكانه. وقد ظهر اتجاهان في تحليل الخطاب: أحدهما: الاتجاه الذي تبناه كينيث بايك **Pike** وزملاؤه، وقد رأوا أن تحليل الخطاب في تطور حقل الإنثروبولوجيا ودراسة اللغات غير المعروفة، فيستعين الباحث في فهم هذه اللغة بالسياق الاجتماعي والعوامل غير اللغوية[١].

والاتجاه الثاني تبناه زيلج هاريس الأمريكي **Zellig Harris** أوائل الخمسينات، وهو الذي أرسى مصطلح تحليل الخطاب **Discourse Analysis** في الحقل اللغوي، فظهر في كتاباته بدء الخمسينات.

وهو أول لساني وسّع موضوع البحث اللساني، فتعدى الجملة إلى الخطاب، وظهرت على يديه نزعة بنيوية جديدة قامت بدور فعّال في تحديد مفهوم الخطاب، وهي الألسنية التوزيعية **Linguistque Distributionelle**، ويعد رائدها الأول، فقد درس عناصر اللسان الخاصة بالقول أو النطق خارج إطار الجملة، فأصبح الخطاب يعني بدراسة مجموعة القواعد التي تربط بين الجمل مكونة القول أو الفعل **Enonce**[٢].

واقترح البحث عن أنماط خطابية تعتمد على وحدات وبنيات شكلانية متساوية بين الجمل التي يتكون منها الخطاب.

وحاولت بعض الدراسات الجمع بين هذين الاتجاهين، وقد لاحظ دي بوجراند أن مدرسة اللسانيات الأمريكية تبنت الاتجاه الذي تزعمه هارس، وقد نافست نظرية تشومسكي اللغوية هذا الاتجاه، واستطاعت أن تحتل موقعه في الساحة الأكاديمية، وعرفت بالنظرية التوليدية، وقد هدفت إلى وصف بنية الجملة من خلال اللغة كلها وليس من خطاب، فوصفت اللغة من خلال قواعد التكوين والتوليد[٣].

وقد قدم تشومسكي **N. Chomsky** مستويين تركيبيين أحدهما سطحي **Face Structure** وآخر عميق **Deep Structure**، ووضع قواعد لتحويل تركيب إلى آخر،

---

(١) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي ص١٧ والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٦٥. ولغة الخطاب السياسي، محمود عكاشة، ص١٧.

(٢) Intitationaux Méthodesde l'analyse du discourse, P. 8 – 11.

(٣) ارجع إلى: تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير) سعيد يقطين، المركز الثقافي، بيروت، الدار البيضاء، ط٢ / ١٩٩٣ ص١٧.

وهذا ما أوضحته النظرية النحوية التوليدية التحويلية على يد تشومسكي، من خلال تعبيري الكفاءة (القدرة اللغوية) **Competence**، والأداء (اللغوي الناتج) **Pre-formance**، وأن اهتمام البحث اللغوي، يجب أن يهتم بالكفاءة التي تعبر عن الوسائل المتوفرة لدى الذات المتكلمة لتعبر عن نفسها أو عن معلوماتها اللغوية تجاه المعلومات اللغوية للسامع[1].

وهناك اتجاه آخر يطلق عليه المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب **L'ecole d'analyse du discourse Francaise** حيث يقع مفهوم الخطاب فيها بين مفهوم قول ومفهوم خطاب **Enonce / discourse**، فالقول هنا هو تعاقب الجمل المرسلة بين دلالتين أو موقفين اتصاليين، أما الخطاب فهو القول الذي يمثل آلية (ميكانزم) خطابية، والتي تكون أحد شروطه أيضاً، فإذا نظرنا إلى النص من ناحية بنائه اللساني، فهو القول، وإذا نظرنا إليه من ناحية الدراسة اللسانية التي تبحث في شروط وظروف إنتاج النص، فهو الخطاب.

وبناءاً على هذا يصبح القول كل ما يضع حدوداً للجملة في بنائها الألسني الضيق، أما الخطاب فهو النص في ضوء ظروف إنتاج هذا القول، والذي يظهرفي أكثر من جملة؛ لأنه لا يوجد خطاب في صورة جملة واحدة. ويحاول ديكرو **O. Ducrot**، وضع نوعين من المكونات في التفسير الدلالي للقول الألسني، وهما: التكوين الألسني **Composant Linguistique**، ويقصد به المعنى الأدبي للقول أو النطق بعيداً عن السياق المحدد، لهذا النطق.

والتكوين البلاغي **Composant Rhétorique**، ويفسر التكوين البلاغي من خلال موقف اتصالي محدد، ويمثله القول والموقف الاتصالي، والخطاب: **énoncé'situation de communication / discourse** وهذا يعني أنه يعرف معنى القول أو النطق خارج إطار سياق القول، ويحدد أهمية القول ومغزاه من خلال ظروف الاتصال، وهي التي تشكل الخطاب.

---

(١) N. Chamsky, Aspectes of the theory of syntax, Cambridge. M.I.T. Press, 1965. وارجع إلي الدكتور ميشال زكريا الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط / ٢ / ١٤٠٦ه ، ١٩٨٦م ص٣٣،٣٢.

وإذا اعتددنا معنى القول أو النطق من خلال سياقه الذي جاء فيه، فإنه سيصبح خطابًا، مع وجود بعدين آخرين، هما صاحب الخطاب، والقصد منه، وتبين من ذلك عدم وضوح مفهوم المصطلحين في الدراسات اللسانية، ويرجع ذلك إلى اختلاف العلماء في تحديد مفهوم واضح للمصطلحات، واختلاف المنهج، والأسلوب الذي يعالج به الخطاب واختلاف ظروف الإنتاج واختلاف الموقف الاتصالي أو ظروف الاتصال: condilions de production / circonstonces de communication فالقول خارج النص يفسر على أنه موضوعات اجتماعية تاريخية social historique في صورة خطاب[1].

ووجدت صعوبة أخرى في التفريق بين مفهوم "خطاب" وبين اللسان "اللغة" discourslim / langue، وهذا يختلف عن ثنائية دي سوسير "اللغة Longue والكلام Parole"، ويختلف عن الرمز والرسالة code et message عند ياكبسون، ويختلف عن صورة النظام واللنص systeme et texte عند يلمسليف، وصورة الكفاءة والأداءCompétence et performance عند تشومسكي، ويختلف عن صورة اللغة والخطاب Langue et discourse عند جيوم[2].

فاللسان يعني مجموعة محددة وثابتة نسبيًا من العناصر، بينما يعني الخطاب مكانًا يمارس فيه الإبداع، وهو بمثابة سياق تجتمع فيه القيم الجديدة لوحدات اللسان (اللغة)[3].

والخطاب جزء من اللسان، ويرجع الخلاف في هذه المصطلحات وعدم وضوحها إلى مواضع توظيفها، فقد تكون مترادفة في بعض السياقات، وقد تختلف في سياقات أخرى، فالخطاب يسمى نصاً في ضوء بنيته اللغوية، وقولاً تداولياً وخطاباً في التواصل اليومي والمحادثة، فالسياق يضبط المراد بهذه المصطلحات، وينسق وظائفها ويحدد مفاهيمها.

وقد كان الخطاب قديماً يعني خطبة أو خطاب الله تعالى لعباده أو الكلام بين المجتمع كالخطاب اليومي. وقد تطور المفهوم فشمل كافة الأشكال اللغوية بعد أن كان يعني مجموعة المفاهيم والألفاظ والعبارات، فأصبح يعني تلك الألفاظ والعبارات، والمعاني الكامنة وراءها إلى جانب الإيحاءات المختلفة للنصوص، واللغة التي يتحدث بها المتخصصون، فقد أصبح

(١) ارجع إلى: لغة الخطاب السياسي ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ وقضية الهوية في مصر ص١٨.

(٢) اللغة والإبداع الأدبي، محمد العبد، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٨٩م ص١٩.

(٣) ارجع إلي: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ص ٣٢ ، ٣٣ .

لكل تخصص خطاب يعرف به[1]. ولعل اتساع المفهوم والوظيفة التي يؤديها الخطاب هما سببا تداخل معنى الخطاب في مفاهيم بعض الألفاظ الأخرى مثل النص **texte** والكلام **parole** والقول أو التلفظ **Enonce** والخطاب عامة في الاصطلاح **Discourse** مكتوباً ومنطوقاً، وأما النص فيصطلح عليه بـ "**text**" مكتوباً **written text** ومنطوقاً **spoken text**.

وقد يعني بمفهوم الخطاب مجموعة من النصوص، عند بعض دارسي الخطاب السياسي عندما نتحدث عن الفكر العربي أو غيره، ويراد بمنتجات هذا الفكر، مجموعة النصوص التى ينتجها المرسل، والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، فالاتصال بين الكاتب والقارئ يتم عبر النص، مثل الاتصال بين المتكلم والسامع، فالأول خطاب مقروء، والثانى مسموع يتم عبر الكلام، أي عبر الإشارات الصوتية. و يسهم القارئ مساهمة فعالة في تحقيق "الاتصال الكتابي" عبر النص، فالكاتب يستحضر القارئ ويتوقع رد فعله والقصد من إنتاج النص توجيه رسالة له، فالكاتب لا يكتب لذاته بل لمتلقٍ. وظهر اتجاه جديد اهتم بالخطابات الحية – وهو متأثر بالمدرسة الأوروبية التي اهتمت بالخطابات المعاصرة – واهتم كذلك بعملية القراءة وأثرها في الخطاب، وربط بينها وبين اللغة وتحليل النص، وربط بين اللغة واستخدامها، وهو الأساس الذي تقوم عليه نظرية تحليل الخطاب، وعالج الجمل في الخطاب وتنوعها، وكذلك الجمل التي تسمى خطابات، وهي الجمل الموجهة.

وتختلف دلالة الكلمة في الخطاب باختلاف السياق اللغوي والسياق الخارجي، واختلاف موضوع الخطاب، وهو ما تهتم به النظرية، فتحليل الخطاب يعالج اللغة عامة، ويرفض أن يكون في اللغة نظام واحد، فالخطابات تتعدد بتعدد موضوعها، وطرفي الاتصال، والمعاني تتولد من تفاعل الاختلاف في المجتمع، فالخطابات المتعددة تصنع أنظمة متعددة،

---

(١) ارجع إلى: التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ١٩٥٢م – ١٩٧٠م، مارلين نصر طبعة مركز الدراسات الوحدة العربية ١٩٨٤م ص٤١. وقضية الهويَّة في مصر في السبعينيات. دراسة في تحليل بعض النصوص الخطاب السياسي ص٤.

وارجع إلى: النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلدن، ترجمة دكتور جابر عصفور. دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩١م، القاهرة ص٣٧.

وارجع إلى: النقد الاجتماعي: نحو علم اجتماع للنص الأدبي، بيير زيما، ترجمة عايدة لطفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩١م ص٢٩٦.

وتنتجها أنظمة متعددة، والمؤسسات الاجتماعية ذوات أنشطة مختلفة وأساليب تعبير مختلفة تعبر عن شخصية هذه المؤسسات، ويمكن معرفة ذلك من خلال المفردات وتوظيفها، والمصطلحات والتراكيب الاصطلاحية والتصريحات، وهي التي تحمل الفكر وتعطي صورة عن مضمون الخطاب، ولكل مؤسسة اجتماعية خطاب خاص، فللسلطة خطاب وللسياسة عامة خطاب وللدين خطاب وللأدب خطاب وللإعلام خطاب، فكل مجال له خطابه الخاص، وكلٍ مسئول عن خطابه، والخطابات السياسية قد تتضمن أفكاراً تعبر عن أصحابها وتجسد مذهبهم السياسى، وقد تعبر عن مضامين كاذبة صنعت لخداع المتلقى وتوجيهه إلى أهداف السلطة.

** ** ** **

obeikandl.com

خطاب السلطة

توجهت دراسات حديثة إلى دراسة الخطابات المؤثرة مثل: الخطاب الديني والسياسي والفلسفي، وغير ذلك من الخطابات المؤثرة في حياة الناس ومصالحهم وتكوينهم الثقافى .

وخطاب السلطة واحد من الخطابات المؤثرة والشائعة، فهو أغنى الخطابات نفوذاً، وأقواها هيمنة وأوسعها انتشاراً، ويزاحمه مكانته الخطاب الديني، بيد أن الأخير أقوى تأثيراً منه، ولكنه لا يجد دعماً سلطياً بل فردياً، وترعاه بعض المؤسسات الدينية والأهلية، ويرجع ذلك إلى العزلة التي تفرض عليه داخلياً وخارجياً، إن لم تكن حرباً، والعزلة التي فرضها أصحابه على أنفسهم خشية التواصل مع الآخر أحياناً؛ وعزوفاً عن الدخول تحت عباءة السلطة !

وبعض رجال الدين يتخذون خطاباً تقليدياً غير مؤثر، ولكن التيارات الدينية السياسى منها إستطاع أن يقدم خطاباً موثراً يتفاعل مع الجماهير ويمس معايشهم وأهدافهم، فحقق هذا الخطاب شعبية كبيرة حققت للتيار الدينى مكاسب سياسية.

وخطاب السلطة: ما تصدره السلطة من إنتاج كلامي مكتوب أو منطوق، أو رمز تعبيري موجه إلى جمهور مستهدف أو مقصود؛ لإقناعه وتوجيهه إلى مقاصدها[1].

وهو خطاب موجه للجماهير لتحقيق أهداف السلطة، ويوظف رجال السلطة فيه مؤثرات عملية وروحية لاستقطاب الجمهور وإقناعه .

ويعد خطاب السلطة نوعاً في الخطاب السياسي، فالخطاب السياسي: خطاب ينتجه المفكرون السياسيون أو المشتغلون بالسياسية أو المهتمون بها، ويتناول موضوعاً يتعلق بالسلطة، أو الدولة أو الدول الخارجية، وهو يصنعه سياسيون من داخل السلطة ومن خارجها، وخطاب السلطة يصنعه أصحاب القرار في الدولة أو القياديون فيها، أو معدون من داخل السلطة أو من حاشيتها، فالخطاب السياسي أعم من خطاب السلطة؛ لأنه يشمل الإنتاج السياسي للخطاب العام أو كل خطاب يتناول موضوعاً سياسياً أو قضية تتعلق

---

(١) ارجع إلى: مدخل لدراسة النص والسلطة، عمر أوغان. أفريقيا. الشرق ط١/١٩٩١ ص١٥. وارجع إلى لغة الخطاب السياسي، الدكتور محمود عكاشة ص١٦ وما بعدها. ونحو سيمياء الخطاب السلطوي، شيلفرآلن، مجلة بيت الحكمة، العدد الخامس، السنة الثانية، الدار البيضاء ١٩٨٧م ، المغرب.

بالدولة وسلطتها أو السياسة الخارجية، ويشمل كذلك الإنتاج السياسي الدولي عند من اتخذ السياسة موضوعاً، وهم السياسيون والحاكمون أو السلطة الحاكمة ورجال الأحزاب والمشتغلون بالسياسة من المفكرين والكتاب، والباحثين السياسيين ومعدي برامج السياسة، وهم الطرف الأول في الاتصال السياسي، بيد أن خطاب السلطة ينتجه أصحاب القرار في الدولة أو ذوو السلطان السياسي، ويحمل شخصية المؤسسة التي تنتجه ويعبر عنها داخلياً وخارجياً، وهذا النوع من الخطاب السياسي يختلف عن بقية الخطابات السياسية، فهو مدعوم بقوة سلطة أصحاب القرار ومؤسسات الدولة الرسمية وغير الرسمية التى تدعمها السلطة، ولا يعبر عن شخص قائله بل يعبر عن النظام الحاكم جميعه أو عن سياسة الدولة أو مذهب الإدارة الحاكمة وسياستها داخلياً وخارجياً، ولا يعبر في مضمونه عن اتجاه شخص واحد بل يعبر عن نظام شمولي جماعي تدعمه السلطة السياسية التى تدعمها السلطة، ويرى أصحاب هذا الخطاب خطابهم شرعياً أو دستورياً وما عداه هزلاً وكذباً، فخطاب الأحزاب المعارضة – حسب رأيهم – غير شرعي وكذوب؛ لأنه ينقض خطابهم، وكل خطاب معارض لا يعترف بالسلطة، يعد مارقاً، وترد عليه السلطة بخطاب يهدمه ويغيبه، وتضع بديلاً له يعبر عن فكرها وإرادتها السياسية، أو تغذي خطاباً آخر متطرفاً – أحياناً – فتدفع به إليه، وهي من ورائه.

وخطاب السلطة من ناحية الإعداد جماعي، ومقصود ويصنع على أيادي صانعي القرار وأعوانهم، وتتدخل في صياغته عوامل كثيرة وله أبعاد خفية وأبعاد ظاهرة، وتشوبه أحياناً لغة الكذب أو التعريض، فلغته مصنوعة أو مفتعلة، ولا تعبر عن وجدان قائلها في دلالاتها، ويحكمها الطابع الرسمي، وتستعين بقوالب ثابتة وأشكال مألوفة، فلا يجد فيه المتلقي متعة ولا يستبد بحواسه، بيد أنه يشغله المضمون أو الفكرة أو الخبر الذي يريد معرفته، ولا يهتم به المتلقي تعلقاً به أو ولهاً بمبادئه بل علاقته به علاقة مصلحة لا إمتاع، ولكن بعض الخطابات الإيديولوجية الكارزمية لها أنصارها ومحبوها الذين يؤمنون بها مذهباً سياسياً.

ويدعم السلطيون خطابهم ببعض الصور والأحداث التى تستخدم أدلة إثبات، والخطاب العربى تستغرقه الأحداث الماضية، والشعور بالاضطهاد والمؤامرة، ويرى فى نفسه المخلص الفريد وأنه المنقذ من العثرات فينسب لنفسه الحلول والمعجزات، ويرى فى نفسه العقل والحكمة وغيره لا يستوعب فهمه ولا يقدر قدره، وتهيمن عليه روح الإثارة والخيال

والكلمات العامة واسعة الدلالة وتصاحبها عناصر صوتية لإثارة الجماهير، فلا يتوازن أحياناً مع الواقع ولا يعبر عن يقين أو حقيقة واضحة.

ويوظف السلطيون عناصر الخطابة العربية وصورها عند القدماء فى سياق لا يستوعب هذه المعانى المجازية المثيرة التى لا تواقع حياة الناس وليس فى قيلها حفظ مصالحهم، وهذه الخطابات المثيرة يفسرها غيرهم تفسيراً عملياً ويقيم عليها أحكاماً ويتخذها مطعناً فى الأنظمة العربية التى تخاطب الآخرين خطاباً عشوائياً غير مستوعبين تبعاته وسوء تفسيره فى ثقافة أخرى لا تستوعب مؤثرات الخطاب العربى، ويؤكد سوء التفسير هيئة المتكلم وحركاته وسلوكه وممارساته التى تصاحب أداء الخطاب وظروف قيله وعلاقته بالآخرين وسياسته المحلية والخارجية فتفسر كلمات الخطاب وانفعالات المتكلم فى ضوء هذه العناصر، فيحقق الخطاب نتائج سلبية خارجياً، وتقطع خيوط الاتصال بالآخرين وتضار المصالح وتخفق الأهداف، وهذا يتطلب إعادة النظر فى وسائل الاتصال بالجماهير على نحو معاصر يجانس ظروف العصر ويحقق المصالح، ويوجب معرفة الاتصال بالآخرين ووسائل إقناعه وأسلوب مخاطبته وعوامل التأثير فيه.

** ** ** **

obeikandl.com